من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى
المعاصي فهو كثير ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله تعالى وسوف تعلمون حين ترون العذاب من اضل سبيلا
ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي علمنا انه كما لا يولد
ولد الا بنكاح ووقاع ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح
فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير اما سمعتم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت
وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير الآية فان قلت فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما
في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه
من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجا ويتذكر ان الله تعالى كريم يقبل التوبة عن
عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم فامرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار
لمن تاب فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغتر كما ان من ضاق عليه
وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير
الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفه فهو
مغرور والثاني ان يفتر نفسه عن فضايل الاعمال ويقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعيم الله عز وجل وما
وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح
المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجا الاول يقمع القنوط
المانع من التوبة والرجا الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر
في العبادة فهو رجا وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك
الذنوب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذا نفسك وتعذيبها ولك رب كريم
غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف
فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه
كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر
والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف
لا اخافه واغتر به فالخوف والرجا قايدان وسايقان يبعثان على العمل فهو تمن وغرور ورجا كافة

الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للاخرة فذلك
غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله
عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويوتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى ويبالغون في التقوى
والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين
مطمئنين غير خايفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انا واثقون
بكرم الله تعالى وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله تعالى وفضله ما لم يعرفه الانبيا كانهم
صلوات الله عليهم والصحابه والسلف الصالحون رضي الله عنهم فان كان هذا الامر يدرك بالتمني
وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكا اوليك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجا
والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في
قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان
اسا قال يغفر لي فاخبر عليه السلام انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه وبمثله
اخبر تعالى عن النصارى انه قال جل وعز فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى
الاية ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا
كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تخويف وتحذير لا يتفكر
متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من
مخارجها ويتناظرون على خفضها ونصبها ورفعها وكانهم يقرون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات
الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين
الرجا والغرور ويقرب منه غرور طوايف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة
ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق
بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من اموال المسلمين والشبهات اضعافه وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف
درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي
الكفة الاخرى الفا واراد ان ترفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان
طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها
كالذي يستغفر الله تعالى بلسانه ويسبح له في اليوم مايه مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم
ويتكلم بما لا يرضاه الله تعالى طول نهاره من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد تسبيحاته وانه استغفر
الله تعالى مايه مرة ويغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مايه مرة والف مرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1